مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ١٠/٢٠٠٤

الأحد ٧ آذار

الأحد الثاني من الصوم

أحد القديس غريغوريوس بالاماس

تذكار القديسين الشهداء في الكهنة باسيليفس ورفقته

اللحن الخامس

إنجيل السَحَرْ الخامس

الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠–١٤؛ ٢: ١–٣)

أنتَ يـا ربُّ فـي الـبدءِ أَسَّستَ الأرضَ والسموات هي صُنعُ يدَيْك* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى كالثوبِ* وتَطويها كالرِداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَن مِنَ الملائِكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني حتَّى أجعلَ أعداءَكَ مَوطِئًا لقدمَيْك* أَليسوا جميعُهم أرواحًا خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيَرِثونَ الخلاصَ* فلِذلكَ يجبُ علينا أن نُصغِيَ إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئَلاَّ يَسرَبَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانَتِ الكلِمَةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنَةِ ملائِكةٍ قد ثَبتت وكلُّ تعدٍّ ومعصيةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن أهملنا خلاصًا عَظيمًا كهذا قد نُطِقَ بهِ على لِسانِ الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سَمِعوهُ.

الإنجيل

(مرقس ٢: ١–١٢)

في ذلك الزمان دخلَ يسوعُ كفْرَناحومَ وسُمع أنَّهُ في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ

اللسان نار

«كل من هو كثير الكلام حتى ولو كان عالماً بأمور كثيرة، إعلمْ انه فارغ من داخل... إذا أردت أن تعرف رجل الله: استدل عليه من دوام سكوته» (القديس إسحق السرياني).

يتضرَّع المؤمنون إلى الله من خلال صلاة القديس افرام السرياني التي تُتلى خلال فترة الصوم الكبير، كي يعتقهم من خطيئة الكلام البطّال والكلام الفارغ والثرثرة. وكلنا نصلّي لكي يبعدنا عن التفوّه بالكلمات التي لا معنى لها والتي لا هدف لها، وعن الكلام الهدَّام غير البنَّاء، الذي لا يؤلِّه ولا يشجع الآخرين ويريحهم في مسيرتهم نحو الملكوت. نصلّي كي يبعدنا أيضاً عن التفوّه بالشتائم والكلمات المعيبة.

في صلاة القديس افرام السرياني نصلّي أيضاً لكي يعتقنا الله من روح البطالة والفضول إلى جانب الكلام البطّال وهذه الخصائل الثلاث مترابطة، إذ ان النتيجة الطبيعية للكسل و«الحشرية» هي التلهي بالكلام البطّال والثرثرة، لكي يبرر الإنسان نفسه أمام الآخرين.

ليست الكلمات الشريرة والمؤذية وحدها أثيمة، إنما الكلمات التافهة والفارغة والعديمة الجدوى هي أيضاً تحمل رائحة الخطيئة في طياتها. قد نستعمل هذه الكلمات كثيراً في حياتنا اليومية، وفي بعض الأحيان قد تكون صائبة في ما تصف، لكن يبقى الأهم كيف ومتى نستعملها. هل لنبني الآخرين ونساعدهم على تقديس نفوسهم؟ أم لأننا نريد الثرثرة فقط؟ هل نحن أفضل؟غالباً ما نقول كلماتنا بعيدة عن المحبة وهذا هو الكلام البطّال. الرب يسوع يحذِّرنا: «إنَّ كلَّ كلمةٍ بطالة يتكلَّمُ بها الناسُ سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامِكَ تتبرَّرُ وبكلامِكَ تُدان» (متى ١٢:٣٦–٣٧). الإنسان الصالح يتفوَّه بالصالحات والإنسان الشرير ينطق بالشر، لأنَّه «من فَضْلةِ القلبِ يتكلَّمُ الفمُ» (متى ١٢:٣٤).

القدرة على الكلام هي ميزة أكرم الله بها الإنسان، وهذا ما يميِّزه عن الصخور والنباتات والحيوانات. هذه الميزة هي جزء من صورة الله ومثاله. الإنسان يفكر ويتكلَّم ويعبِّر عما يجول في داخله. يتكلَّم فيبارك الله ويسبِّحه ويشكره. وبالكلام أيضاً ينقل تعاليم الله ويجعل سُبُلَه معروفة. بالكلام أيضاً يقدر أن يلعن ويجدِّف ويكذب ويطلق الإشاعات ويُدين الآخرين

كثيرون حتَّى إنَّهُ لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ. وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أنْ يقتربوا إليهِ لسببِ الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعد ما نَقَبوهُ دلَّوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعًا عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهم ما بالُ هذا يتكلَّم هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ* فللوقت علِمَ يسوعُ بروحِهِ أنَهم يفكِّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكِّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أنْ يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكنْ لكي تعلموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفرَ الخطايا (قال للمخلَّع) لك أقول قُمْ واحملْ سريرَك واذهبْ إلى بيتك* فقام للوقتِ وحملَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميع حتَّى دَهِشَ كلُّهم ومجَّدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطّ.

تأمل

لنتقدم من السيد ونسأله غفران خطايانا قبل أن نطلب منه الخيرات الأرضية. فهو يعطينا كل ما نحتاج إليه إن سألناه

ويشتم ويطعن بالظهر . لهذا قال الرسول يعقوب عندما تحدث عن اللسان: «هو شرٌّ لا يُضبط، مملوءٌ سُمًّا مُميتاً، به نباركُ اللهَ الآبَ وبه نلعنُ الناسَ الذينَ قد تكَوَّنوا على شِبهِ الله. من الفمِ الواحدِ تخرجُ بركةٌ ولعنةٌ. **لا يصلُحُ يا إخوتي أن تكونَ هذه الأمورُ هكذا**» (يع ٣:٨-١٠). أيضاً الرسول بولس يناشد تيموثاوس قدام الرب «أن لا يتماحكوا بالكلام، الأمرُ غيرُ النافعِ لشيءٍ لهَدْمِ السامعينَ... وأمَّا الأقوالُ الباطِلةُ الدنِسةُ فاجتنبها لأنَّهم يتقدَّمونَ إلى أكثرِ فجور» (٢تيمو ٢: ١٤-١٧).

كتاب الأمثالُ الذي نقرأ منه كل مساء في صلاة الغروب خلال الصوم الكبير يتحدث عن ضبط اللسان في كثير من الإصحاحات: «فمُ الصِّدِّيقِ ينبوعُ حياةٍ وفمُ الأشرارِ يغشاهُ ظلمٌ... كثرةُ الكلامِ لا تخلو من معصيَّةٍ. أمَّا الضابطُ شفتيهِ فعاقلٌ. لسانُ الصِّدِّيقِ فضَّةٌ مختارةٌ. قلبُ الأشرارِ كشيءٍ زهيدٍ. شفتا الصِّدِّيقِ تهديانِ كثيرينَ، أمَّا الأغبياءُ فيموتونَ من نَقصِ الفهمِ» (أم١٠: ١١، ١٩-٢١، راجع ٤: ٢٠-٢٥، ١١: ١٢-١٣، ١٥:١-٤). كلمات كتاب الأمثال تختصرها الآية التي نرتلها مساء كل يوم: «اجعلْ يا ربُّ حارساً لفمي وباباً حصيناً على شفتي» (مز ١٤١ :٣).

إلى جانب الطلب إلى الله أن يعتقنا من روح الكلام البطَّال نصلّي كي يهبنا الله أن نعرف ذنوبنا وعيوبنا: «وهَبْ لي أن أعرف ذنوبي وعيوبي وأن لا أدين إخوتي فإنك مبارك إلى الأبد».

يشدِّد الآباء القديسون، الذين عاشوا حياة روحية أوصلتهم إلى الملكوت، أن معرفة العيوب والذنوب تتطلَّب صمتاً وليس فقط ابتعاداً عن الكلام البطَّال. القديس إسحق السرياني يوصي: «أحبَّ السكون يا أخي، لأن فيه حياة لنفسك. بالسكون ترى ذاتك، وخارجاً عن السكون لا ترى إلا ما هو خارج عنك. وما دمت تنظر غيرك فلن ترى نفسك. هدِّئ حواسك الخارجية حتى يمكنك أن تهدِّئ الداخلية. السكوت يُكسِب الحكمة ويجمع ملكات الفكر للمعرفة».

ان اكتشاف الإنسان لخطاياه نعمة كبرى، لأنه الطريق الوحيد الموصل للشفاء منها. في الصمت يرى عيوبه وخطاياه واضحة، والصمت فرصة للتوسل والبكاء لغسل الخطايا.

ملاحظة أخيرة، الابتعاد عن الناس ليس خلوة، ولا مجرَّد الدخول إلى المخدع المغلق هو الصمت. الخلوة تكون في القلب أولاً،والصمت يبدأ من العقل قبل الفم. علينا أن نفرغ قلبنا من كل اهتمام لنكون في خلوة، ونبعد عقلنا وقلبنا عن كل فكر شرير لنكون في صمت. عندها لن يخرج من فمنا كلام بطَّال، بل كل ما هو لمجد الرب.

الصلاة القلبية

«كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها» (رو ٢٦:٨).

بعد أن كان الإنسان في حضرة الله الدائمة في الفردوس، وكان يكلّم الله وجهاً لوجه «كما يكلّم المرء صاحبه»، سقط في الخطيئة وابتعد عن الله وتغرّب عنه. بعد السقوط لم يعد باستطاعة الإنسان التواصل مع الله، ولم يعد يعرف اللغة التي عليه أن يستعملها في الحديث معه الله. وما الحديث مع الله إلاّ الصلاة. إنّها جلوس إلى الله.

بالروح القدس المنسكب علينا في المعمودية نستعيد القدرة على الصلاة. إلاّ أن ذلك ليس سحراً، بل يفترض جوابنا على عطية الروح القدس. لذا على الإنسان التدرّب من

بحرارة.
ان سكان الأنحاء المختلفة جاؤوا إلى يسوع إذ سمعوا انه يُخرج الشياطين. أما أنت الآن فأمامك أعماله كلها، تراها بأم العين، وهي تدل على قدرته. ومع ذلك فأنت لا تريد أن تنهض وتُسرع إليه. هؤلاء تركوا أوطانهم وأصدقاءهم وأقاربهم وجاؤوا إليه. أما أنت فلا تريد أن تخرج من بيتك وتتقدَّم إليه لكي يعطيك أفضل منهم بكثير. أما نحن فلا نطلب منك شيئاً مما ذُكر. إبقَ مع أخصائك وارفض العادات الشريرة فقط فتحصل على الخلاص بسهولة.

إن أصابتنا علة جسدية نبذل ما في وسعنا لنتخلص منها. أما إن أصابنا مرض روحاني فنتماهل ونرفض التطبب منه. لذلك لا نشفى من أمراضنا الجسدية، وهكذا نحسب الأشياء الطفيفة والحقيرة، راغبين في تنظيف الجداول الصغيرة، وغاضين النظر عن منهل الشر الأصلي. ان فساد النفس هو سبب علل الجسد. ويثبت هذا ذلك المخلع الذي مضى على مرضه ثمان وثلاثون سنة، وقد نقب السقف حاملوه ليدلوا بسريره إلى المسيح. يجب أن نستأصل الشر أولاً وحينئذ نحصل على الشفاء.

ان المرض لا يكون بانحطاط الجسد بل بالخطيئة، ومرض النفس

جديد على الصلاة حتى يصل إلى الصلاة الحقة، التي هي صلاة القلب حيث يلتقي الإنسان بالله من جديد ويهتف مع كاتب المزامير: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين» (٨:١٦).

في مسيرتنا الروحيّة نبتدئ أولاً بتلاوة صلوات كتبها أناس عاشوا مع الله واختبروا اللقاء والتكلّم معه. هذه الصلوات ضروريّة للإنسان المبتدئ وبها يتعلّم من جديد لغة الصلاة، تلك اللغة التي فقدها بالسقوط، فيردّد صلوات محدّدة حافظت عليها الكنيسة ونقلتها إلينا.

في مرحلة ثانية يبتدئ ذهننا بالتركيز على كلمات الصلاة أكثر فأكثر حتى تصير كلمات الصلاة كلماتنا، ونعي خطيئتنا ومدى بعدنا عن الله وكم أن حياتنا مرتبطة به ولا معنى لها بدونه، فتنخَس قلوبنا ونصرخ: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ ... أما أنا فدودةٌ لا إنسانٌ، عارٌ عند البشر ومحتقر الشعب ... لا تتباعد عني لأن الضيق قريب» (مز ٢٢:١، ٦، ١١). إنّها صلاة الذهن.

بعد ذلك تنتقل الصلاة من الذهن إلى القلب. والقلب في لغة الكنيسة هو مركز الإنسان،مركز كيانه،وهو مكان لقاء الإنسان بالله. في هذه المرحلة تتحوّل الصلاة من فعل إرادي إلى حالة، حالة الصلاة. إنّها الصلاة القلبية، وهي أسمى أنواع الصلاة.

ترتبط أنواع الصلاة الثلاثة هذه بحالات الإنسان المسيحي الروحيّة الثلاث: التطهّر، الاستنارة والتمجيد أو التألُّه. ويرتبط سعي الإنسان إلى اكتساب الصلاة القلبية بالسعي نحو معاينة الله في مجده، نحو معاينة نوره غير المخلوق كما عاينه الرسل على جبل ثابور حين تجلّى الرب. إلاّ أن ذلك يعطى لنا نعمة، إذ لا يستطيع الإنسان بقدرته الذاتيّة أن يصل إلى هذه الحالة، فهو بحاجة إلى معونة الله الذي يسكب روحه فينا «وهو يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها».

يسعى الإنسان في مسيرته الصلاتية هذه إلى التحرّر من كلّ الأفكار التي ترد على ذهنه، ما هو سيّء منها وما هو جيّد أيضاً، وإلى التحرّر من محبّته الأنانيّة للوصول إلى المحبة الكاملة التي لا تطلب ما لنفسها، إلى محبة الله. وفي وقت لا يعلمه الإنسان مسبقاً يسكب الله نعمته عليه ويغلّفه بمجده، بنوره غير المخلوق، كما ظلّلت الرسل سحابةٌ نيّرة في حين التجلّي.

هذه الحالة يتذوّقها الإنسان من الآن، وهو في الجسد، ولكن لفترات متقطعة، حسب مشيئة الله. فقد تكون لبضع لحظات، كما يمكن أن تستمر لبضعة أيام. إذذاك يتحرّر الإنسان طيلة هذه الفترة من كلّ القيود والشهوات الجسديّة والنفسيّة.

هذا بالفعل ما اختبره كثير من قدّيسينا، ولا نظننّ عندما نقرأ في سيَرهم ما كان يحصل لهم عند دخولهم في المجد الإلهي أن ذلك مجرّد قصة وهميّة، بل هي حقيقة اختبروها ونحن مدعوون إلى الدخول في جهاد روحي كهذا لنصل، بنعمة الله، إلى معاينته كما هو.

وحدة الزواج في المسيحية (تابع)

٦ – هدف الزواج:

إن الحب بين الزوجين وتعاونهما على مصاعب الحياة هو هدف الزواج، ويبقى الإنجاب نتيجة لحبّهما لا غاية بحدّ ذاتها. فقد ورد في بدء الخليقة، عند خلق حواء، قول الله «أصنع لهُ مُعيناً نظيرَه» (تك ١٨:٢). وفي هذا يقول القديس أوغسطينوس: «ليس الزواج لإنجاب البنين فقط، وإنما أيضاً لأجل التكوين الطبيعي للجماعة.

أشد من مرض الجسد لأنها أفضل منه. بناء عليه لنتقدَّم إلى المسيح ونطلب منه شفاء نفوسنا المخلّعة تاركين الأشياء العالمية، ومنصرفين إلى الروحيات. فإذا كنت لا تحزن من أجل الخطيئة فلا تحسب نفسك في مأمن من الخطر.

الأفضل أن لا نخطئ مطلقاً، وإن سقط أحد في الخطيئة يجب عليه أن يشعر بها ويصطلح. فإن كنا لا نحاسب أنفسنا عنها ولو قليلاً، فكيف نجسر أن نتضرع إلى الله ونسأله مغفرة الخطايا. وإن كنت أيها الخاطئ لا تريد أن تعترف بإثمك فأي مغفرة تسأل من الله؟ انك تسأله أشياء لا تعرفها. لذلك وجب عليك أن تعترف بخطاياك واحدة فواحدة كي تعلم مقدار الدين الذي يُترك لك، وتتحرك فيك عاطفة الشكر والثناء إلى من أحسن إليك. فإن أهنت أحداً توسط الأصدقاء والجيران حتى البوابون، وتبذل جهدك ومالك وتضيع معظم أوقاتك سدى، وتذهب إليه بنفسك وتسأله العفو وتلح به ولو لم يعفُ عنك. أما إن أحزنّا إله الكل فنتهاون بالأمر ولا تتحرك فينا الحمية، ونظل على عمل ما تعودناه. فمتى إذاً نسترضيه؟ ألا نغضب الله تعالى أكثر من السابق، إن داومنا على عملنا هذا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

«التعاون الاجتماعي»، ويستطرد: «إن شهوة الجسد تخفف بواسطة المشاعر الأبوية ومشاعر الأمومة».

إلاّ أن بولس الرسول أضاف غرضاً آخر في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث قال «حَسَنٌ للرَّجُل أنْ لا يَمَسَّ امرأةً. ولكن لسببِ الزِّنا لِيَكُنْ لِكُلِّ واحدٍ امرأتُهُ وليكُنْ لكلّ واحدَةٍ رَجُلُها... لأنَّ التزوُّجَ أصلَحُ مِنَ التَّحرُّقِ» (٩،٢،١:٧). كما قال القديس أوغسطينوس «ليس لإنجاب لبنين وإنما لأجل الضعف وعدم ضبط النفس».

يقول القديس أوغسطينوس: «ففي الشيء المصرَّح به، ينبغي أن يكون هناك اعتدال سواء بالنسبة إلى الرجل أو المرأة، حتى لا تنفجر الشهوة وتقود إلى غير المصرّح به. لذلك فزينة الأزواج هي عفّة الإنجاب والإخلاص في الخضوع لطلبات الجسد». ويعترض القديس على الانغماس في الشهوة، الأمر الذي يتعارض وقدسية الزواج المسيحي فيقول: «كل ما هو مخجل ومنحط مما يفعله المتزوجان ببعضهما البعض، ليس هو عيب الزواج وإنما عيبهما». كذلك يعتبر القديس أمبروسيوس أن عدم العفة في الزواج هو زنى، إذ يقول «ولهذا فإن بولس الرسول يعلّم العفة «الاعتدال» حتى في الزواج ذاته، لأن الذي ليس عفيفاً في زواجه هو نوع من الزناة ويكسر قانون الرسول».

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي «فليبتهج أيضاً أولئك الذين تزوجوا إذ يستعملون الزواج قانونيا حسب فريضة الله، وليس للشهوة برخصة غير محدودة، وكذلك الذين يعرفون مناسبات للامتناع ليتفرغوا للصلاة» (ا كو٧: ٥).

ويقول القديس إيرينيموس: «فإن كان المسيح يحب الكنيسة في قداسة وعفة وبدون دنس، فليحب الأزواج زوجاتهم في عفة». «ليعرف كل واحد كيف يقتني إناءه في قداسة وكرامة... وليس في شهوة مثل الأمم الذين لا يعرفون الرب».

وفي الزواج المسيحي لم تكتفِ الكنيسة بأن تكون المعاشرات الزوجية في عفة واعتدال، وفي بُعْدٍ عن الانغماس في الشهوة، وإنما حددت فترات للإمتناع عن فراش الزوجية بقصد التفرغ للعبادة. وفي ذلك يقول القديس إيرونيموس «فليتحرّروا أولاً فترات قصيرة من قيد الزواج ويتفرّغوا للصلاة. وعندما يذوقون حلاوة العفة، سيطلبون دوام تلك المتعة الوقتية (متعة البعد عن المعاشرة)».

هذا التفرغ للصلاة والصوم ذكره بولس الرسول في رسالته الأولى إلى كورنثوس حتى لا يُجرِّب الزوجان من الشيطان «بسبب عدم تعففهما» (٥:٧). والأصوام في المسيحية كثيرة ولكن بعضها إلزامي على جميع المسيحيين إلا المرضى والضعفاء. وفي ذلك يأمر القديس باسيليوس الكبير في قانونه الثلاثين قائلاً «إنه شيء خارج عن الزيجة أن يلتصق أحد بفراشه في الأربعين يوماً كلها من أولها إلى آخرها».

الزواج مقدس ومبارك في المسيحية، والرب في عرس قانا الجليل أظهر أولى آياته. رُبّ سائل: هل نتحدث عن تقديس للزواج في زمن لم تعد فيه قيمة للحياة نفسها؟ الجواب بسيط: لم تفقد الحياة قيمتها إلا لأن العائلة، المتكوّنة في سر الزواج (كنيسة مصغّرة)، نزعت عنها وشاح القداسة حياةً وممارسة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb